# المحاضرة السادسة
# في قصيدة الومضة

**أولا: تسميات قصيدة الومضة:**

عُرفت قصيدة الومضة بتسميات مختلفة، منها: النثيرة، والتوقيعة، واللمحة، واللافتة، والمنمنمة، والبرقية، والتلكس الشعري، وقصيدة المشهد، وقصيدة الخاطرة، وقصيدة الفكرة، وغير ذلك من التسميات[1]. ولعلّ أكثر المصطلحات تداولاً هى: الومضة، والتوقيعة.

**ثانيا: في تعريف الومضة:**

أ- لغة: الومضة لغةً من ومضَ البرقُ: لمع خفيفاً، وأومَضَتِ المرأةُ: سرقتِ النّظر، وأومضَ فلانٌ: أشار إشارة خفية[2]. وفي هذا المعنى شيءٌ مِن اللّمعان والبريق والإضاءة والتألُق والإشراق.

ب-**اصطلاحا**: تُعد قصيدة الومضة نمطاً جديداً من أنماط القصيدة العربية، تُبني في الغالب على عدد محدود جداً من الكلمات والسطور، وهي بسيطة مختزلة ومختصرة، تعتمد بشكل كبير على التكثيف والاختزال والاقتصاد اللغوي.

**ثالثا: نشأة قصيدة الومضة:**

النصوصُ الشعريّة التي عُرفت باسم الومضات راجت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وباتت تستقلُّ بنفسها حتي أصبحت شكلا شعرياً خاصّاً إلي جانبِ الأشكال الشعريّة المعروفة، غير أنّنا نجد حولها مواقف متباينة تجعلُ قضيتَها غير محسومة حتي اليوم. ولقد كان من روادها عز الدين المناصرة، ونزار قباني وأحمد مطر وسعدي يوسف وأدونيس، مظفر النوّاب. ويعود الفضل في نشأة هذا الجنس الأدبي في الشعر العربي الحديث والمعاصر إلى الشاعر والناقد الفلسطيني **عزّ الدين المناصرة** الّذي كان يرى أنّه أول من اكتشف هذا الجنس الأدبي سنة **1964** حيث كتب نصوص شعرية قصيرة جدّا أطلق عليها تسمية **(التوقيعة)**[3].

وفي الجانب التنظيري يشير بعضهم إلى أنّ عزّ الدّين اسماعيل هو أوّل من استخدم المصطلح الدالّ على هذا النمط من القصائد سنة 1967م حيث سمّاها بـ(القصيدة القصيرة). ويشير آخرون إلى أنّ الفضل الأول في التنظير للومضة الشعرية إنّما يعود إلى محمد ياسر شرف، وذلك من خلال كتابه (النثيرة والقصيدة المضادة) الذي صدر عن النادي الأدبي بالرياض عام 1981م. وقد خصّ هذا الجنس الأدبي ببحث مستقل جعله تحت عنوان: (النثيرة جنس أدبي جديد).

---

[1] - لها تسميات كثيرة منها: والقصيدة الفلاشية، القصيدة المضغوطة، والقصيدة الكتلة، والقصيدة المركّزة، والقصيدة المكثّفة، القصيدة الدّفقة، القصيدة الفقرة، قصيدة اللمحة، قصيدة الأسئلة، قصيدة القصّ الشّعري، القصيدة اللافتة، القصيدة اللاقطة، قصيدة الصّورة، القصيدة العنقودية، القصيدة اليومية....

[2] - يُنظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطبع والنشر، جمهورية مصر العربية، ،1989ص .682. وكذلك المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة 1425هـ، 2004م، ص .1058. وانظر أيضا القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مراجعة واعتناء: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، سنة2008، ص1782.

[3] - ومِن توقيعات المناصرة آنذاك: «وصلتُ إلى المنفى في كفي خُفُّ حُنين/ حينَ وصلتُ إلى المنفى الثاني سرقوُا منّي الخُفَّين.». ويرى بعضهم أنّ نزار قبّاني هو الرائد من خلال قصيدته (أوراق إسبانية) الّتي كتب في بداية الستينيات، ونشرت فيما بعد في ديوانه (الرسم بالكلمات)، غير أنّ البعض الآخر يرى أنّ قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) الّتي نشرها سنة 1967م هي أول قصائد الومضة النزارية، وقد اقترح مصطلحا بديلا لهذا الجنس الجديد أطلق عليه مصطلحا عليها تسمية (البرقية- التلكس).

**رابعا: جذور قصيدة الومضة:**

عايش مصطلح قصيدة الومضة ما عايشته كثير من المصطلحات العربية الحديثة في إشكالية البحث عن جذورها.

**1- الأصل العربي:**

يرى فريق من الباحثين أنّ هذه الظاهرة لها أصولا في ذاكرتنا العربية، إذ يمكننا القول إنّ قصيدة الومضة هي إحياء أو إعادة صياغة لما نعرفُهُ في الشعر العربي القديم مِن الأوابد[4] أو المقطّعات[5]، أو ما يعرف بالبيت اليتيم[6]، ولاسيّما فنّ التوقيعات العبّاسية[7].

**2- الأصل الغربي:**

يميل عدد من النقاد إلى أن شعر الومضة تأثر بمؤثرات أجنبية قديمة أو معاصرة؛ فقد تكون الومضة- حسب بعضهم- هي نتاج لتطوّر ما كان معروفا عند اليونانيين بفن الأبيجرام[8]. وقد تكون الومضة- حسب البعض الآخر- محصّلة لبعض الفنون الشعرية والنثرية المعاصرة منها الشعر الانجليزي القصير والقصة القصيرة وقصيدة «الهايكو»[9] أو «التانكا»[10] اليابانيتين، أو حركة الأدني «Minmalism» التي برزت في الولايات المتحدة، ونادت «بكتابة مختصرة لحياة مختصرة».

---

[4] - الأوابِد جمع آبدة، ويراد بها العادة المتأصلة التي جرى عليها العرب منذ زمن بعيد، وهذه الأوابد العربيّة لم يصل إلينا علمها إلاّ عن طريق الشعر الجاهلي، فهو الذي سجّلها لنا وحفظها وصانها. ، وهذه بعض أوابدهم:

1- زواج القريبة: من عادتهم في الزواج أن لا يتزوج الرجل من قريبته، لأنّ ذلك يسبّب ضعف النسل. قال الشاعر:

فتى لم تلده بنت عمّ قريبة فيضوى، وقد يضوي وديد الأقارب

وقال آخر: تجاوزت بنت العّم وهي حبيبة مخافة أن يضوي عليّ سليلها

2- إغضاب المرأة للإنجاب: يعتقد العرب أنّ الرجل إذا أغضب امرأته عند الجماع أنجبت، وفي ذلك قال الشاعر:

تَسنّمتُها غضبى فجاء مسهدا وانفع أولاد الرجال المسهّد

3- وطء المقاليت للقتلى: كانوا يزعمون أن المرأة المقلاة، وهي التي لا يعيش لها ولد إذا وطئت قتيلاً شريفاً بقي أولادها. وفي ذلك قال بشر بن أبي خازم: يظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

[5] - المقطّعات هي القصائد القصار أو الأبيات الشعرية القليلة.

[6] - البيت اليتيم هو البيت النادر أو الفريد الّذي يجري مجرى المثل.

[7] - التوقيعة العبَّاسية)، هي عبارةٌ بليغة موجزة مقنعة، يكتبها الخليفة أو الوزير أو الوالي على ما يرد إليه من رسائل تتضمن قضية أو مسألة أو شكوى أو طلب. والتوقيع قد يكون آية قرآنية، أو حديثاً نبوياً، أو بيت شعر أو حكمة، أو مثلاً، أو قولاً سائراً. ويشترط أن يكون ملائماً للحالة أو القضية التي وُقّع من أجلها) –(2). ومن التوقيعات في العصر الأموي(3): (كتب ربيعة بن عسل اليربوعي إلى (معاوية بن أبي سفيان) يسأله أن يعينه على بناء (دار) له بالبصرة . بأن يرسل له (اثني عشر ألف جذع من النخل) – فوقّع معاوية على رسالته بقوله: (أدارُكَ في البصرة، أم البصرة في دارك!!)، ووقّع (المأمون) العباسي في قصة عامل له كثرت منه الشكوى: (قد كثر شاكوك، وقلّ شاكروك، فإما اعتدلت، وإما اعتزلت!). ووقّع (هارون الرشيد) إلى صاحب خراسان، وقد بدأت الرعية تشكو منه: (داوِ جرحك، لا يتّسع).

[8] - ظهر في (القرن الخامس، ق.م) في اليونان نوعٌ من النصوص القصيرة، أطلق عليها كلمة (إبيجراما – Epigramma)، التي اشتق منها مصطلح (Epigram)، وتعني النقش (Inscription)، اسم أطلقه اليونانيون واللاتينيون على فن شعري (نشأ منقوشاً على الأحجار)، فقد كان القدماء ينقشون على قبور الموتى، وفي معابد الآلهة، وعلى التماثيل والآنية، بيتاً أو أبياتاً من الشعر، وقد تطور (هذا الشعر القصير)، الذي كانت تصور فيه عاطفة من عواطف الحب، والمدح، ثم غلب الهجاء على هذا الفن تحوّل عند الرومان إلى فن أدبي يقوم بالدرجة الأولى على التركيز والانتهاء بلسعة هجائية بارعة، فهي- عندهم- قصيدة قصيرة (من بيتين إلى ستة) تّنظم للسخرية من أحد الخصوم، وتنتهي نهاية لاذعة، إنْ لم تكن فاحشة.

[9] - قصيدة «الهايكو» عبارة عن مقطعة شعرية قصيرة، تتكون من ثلاث أبيات، أولها وآخرها من خمسة مقاطع، و وسطها من سبعة، تقوم على التركيز والتكثيف و الاقتصاد اللغوي.

[10] - قصيدة التانكا، شكل من أشكال القصيدة اليابانية القصيرة، ظهرت منذ القرن الثامن الميلادي. قصيدة التانكا، تتكون من 31 مقطعًا صوتيًّا يابانيًّا.

**خامسا: سمات قصيدة الومضة:**

تلتزم قصيدة الومضة بالكثافة والإيحاء، والنهاية المدهشة، والمفارقة، وتنبثق من موقف انفعالي، ولحظة مأزومة، وتبنى على صورة كلية واحدة، وعلى الوحدة العضوية. وتتسم الومضة بجملة سمات أهمها:

1-**القصر:** تتسم قصيدة الومضة بالقصر والإيجاز الشديد، وهذه الخصلة سمة مقومة لها، إذ تعمد إلى بناء صورة كلية من منطلق صورة واحدة، وتقدّم فكرة ما، وتجسد موقفًا انفعالياً واحدا

2-**الإيحاء والتكثيف**: تعتمد قصيدة الومضة على التكثيف الشديد، المكتنز بالدلالات والإيحاءات.

3-**لغة الومضة**: لغة شعرية تميل إلى البساطة والسلاسة، والإيجاز وكثافة العبارة، وعمق المعنى.

4-**سردية الومضة:** تشتغل قصيدة الومضة كثيرا على النمط القصصي، حيث تعتمد على السرد والحوار بطريقة بسيطة وموجزة، مما يزيد من جمال القصيدة وتأثيرها.

5-**العتبة النصية والخاتمة المفارقة:** تأتي نهاية الومضة مفارِقة، ومدهشة، وليس هذا الأمر جديداً، فقد اهتم البلاغيون العرب بخواتيم القصائد بوصفها آخر ما يصحب القارئ في النص. وتؤدي الخاتمة المفاجئة وظيفة إدهاشية، وتجذب المتلقي حين تكسر أفق توقعه. وقد انحرف شعراء الومضة عن المألوف، وغيروا النسق عن النظام اللغوي السائد.

يقول أحمد مطر في لافتة «إضاءة»:

يخيّم الصباح
فأرفع الستارة عن نافذتي
وأشعل المصباح[11].

[11] - أحمد مطر لافتات، ص22. أتت العتبة النصية حاملة معنى إزاحة الظلام بضوء يساعد على الرؤية ذلك لأن واقعه محكوم بالظلام، واللافت أنه لم يستخدم كلمة تدل على التوهج والإنارة، واكتفى بما يتيسر له، ويساعده على الإبصار. لكن مضمون لافتته أتى مفارقاً العتبةَ النصية من جهة، وأتت النهاية مفارقة الومضةَ من جهة أخرى، فالصباح يخيّم، والذي يخيم في اللغة الظلام، إنه صباح لا أمل منه، فحين يرفع ستار نافذته يشعل المصباح لكي يرى في الصباح! وتحدث المفاجأة حين ينقلب التوقع، ويُصدم المتلقي بتحول الصباح إلى ليل بهيم. وتكون المفاجأة أقوى حين يخالف الشاعر التوقعات، وترتبط الخاتمة بالتشويق الحاصل مع الصباح الذي يخيم، فيشترك المتلقي مع الشاعر في رسم الخاتمة، وتأويلها.